

## "تايمز أوف إسرائيل" فرصة الضمّ العظيمة.. مجرد أكذوبة



12 يونيو 2020 - 08:28

بقلم: دان بيرى

يُجادل المدافعون عن الإسراع إلى ضم أجزاء من الضفة الغربية بأن الوقت المناسب لاتخاذ مثل هذه المخاطرة المذهلة هو الآن، في خضم أسوأ أزمة اقتصادية منذ عقود، لأن هناك أيضاً فرصة لا تتاح لجني الذهب بالنسبة لإسرائيل.

بالإمكان ملء كوابك جديدة بجماهير ساذجة تبدي استعداداً لتصديق بنيامين نتنياهو، ولكن على عكس ادعاءاته التحريضية ضد النظام القانوني، من المحبذ النظر عن كتب في ادعائه هذا: لا يجب تقويت الفرص التي لا تأتي إلا مرة واحدة.

"الفرصة" المقصودة هي أن تتجح إسرائيل بتنفيذ الضم دون عواقب، هذه المرة، ومن المحتمل ألا تتكرر هذه الفرصة مرة أخرى. وبوضع هذه الفرضية في عين الاعتبار، علينا فحص الإصرار على الضم بأي من أشكاله بحلول الأول من تموز.

للوهلة الأولى، يبدو الأمر برمته مثيراً للفضول.

حذرت الدول العربية المعتدلة، التي تعيش في سلام مع إسرائيل - وتلك التي تحاول التقرب منها - من عواقب وخيمة، وقال مسؤول إماراتي بارز في مقال رأي مذهل باللغة العبرية: إن التطبيع لن يظل مطروحاً. تتبأ آخر بالدعوات لدولة واحدة ثنائية القومية وليست يهودية، وهي في الواقع النتيجة المنطقية الوحيدة لمغامرة الاحتلال هذه.

ترفض مصر أي ضم، ويهدد الأردن بإلغاء معاهدة السلام التي تمنح إسرائيل عمقاً إستراتيجياً لا يمكن للضفة الغربية أن تمنحه أبداً.

حسناً، لا تميل إسرائيل إلى أخذ العرب على محمل الجد، حتى أنها لم تكلف نفسها عناء النظر في مبادرة السلام العربية للعام 2002.

يقول الفلسطينيون: إن الضم سيكون بمثابة القشة الأخيرة لـ "عملية السلام" الأطول في التاريخ والمتوقفة حالياً، ويهددون بإنهاء التنسيق الأمني الذي يوفر الأمن لإسرائيل منذ الانتفاضة الثانية الدامية.

لا تأخذ إسرائيل الفلسطينين على محمل الجد أبداً، على الأقل حتى يبدؤوا بتفجير الحافلات، وفي هذه المرحلة يتحرك الرأي العام على أي حال إلى اليمين. ولكن يبدو أن الفلسطينين يعتمدون على أساس ثابت في آمالهم بأن ترد الدول الأوروبية على الضم من خلال الاعتراف بـ "فلسطين".

وصرح الأوروبيون صراحة أنهم لن يعترفوا بأي ضم إسرائيلي، وقد وصل وزير الخارجية الألماني، هايكو ماس إسرائيل، على وجه التحديد لتحذيرها من أن الخطوة ستكون غير قانونية. وهناك تحذيرات من عقوبات لأول مرة منذ عقود.

الأوروبيون هم الشركاء التجاريون الرئيسيون لإسرائيل، ويمكنهم أن يدمروا جزءاً كبيراً من الحياة الطبيعية هنا، لكنهم أيضاً منقسمون، وسيبقى الألمان مدينين لإسرائيل لآلاف

السنين. تحولت السخرية من الاتحاد الأوروبي إلى رياضة في هذه المنطقة، لذا يجب علينا المضي قدماً.

أين الدعم المذهل للضم؟

يعتمد الضم بالتأكيد على الفكرة القائلة: إن الخطة حصلت على مباركة دونالد ترامب، الذي أصبح بخدعة بصرية رئيساً للولايات المتحدة.

تفتقر هذه الحجة إلى الكرامة (لأن إسرائيل دولة مستقلة)، أو الإقناع الأخلاقي (لأن ترامب قد يكون الزعيم الأقل أخلاقية الذي عرفته الولايات المتحدة على الإطلاق)، أو الكثير من المنطق (لأن النزاع على الأرض مع الفلسطينيين وليس مع أميركا). لكنها تقنع العديد من الإسرائيليين، الذين على غرار توابع حقيقيين يعتبرون الضوء الأخضر من أميركا كافياً. إلا أن إسرائيل لم تحصل على المباركة الأميركية للخطوة.

جو بايدن، الذي يتقدم في استطلاعات الرأي (بما في ذلك الولايات المتأرجحة)، يمكن أن ينتخب رئيساً في غضون خمسة أشهر (وقد لا يتم انتخابه أيضاً، بسبب النظام الانتخابي الأميركي الذي يعمل لصالح الجمهوريين). أوضح بايدن معارضة لأي ضم، ويشركه هذا الرأي جميع قادة أميركا تقريباً، من الحزبين الرئيسيين، ومن صفوف الأجهزة الإستراتيجية والعسكرية، وكذلك العديد من الأصدقاء الصريحين لإسرائيل مثل دانيال بابيس.

إذا نفذت إسرائيل ضمماً يتجاوز أي خطوة رمزية، فقد تواجه إدارة أميركية معادية جداً، وسيترواح الرد في بقية العالم ما بين المعارضة والغضب الشديد.

هذا هو بالضبط السبب في أن المؤسسة الأمنية الإسرائيلية تعارض الخطوة بشكل شبه كامل. جميع الجنرالات الثلاثة السابقين الذين تم اختيارهم لقيادة تنفيذ الخطة رفضوا العرض، وكبار المسؤولين في الجيش وجهاز الأمن العام (الشاباك) و"الموساد" والشرطة يدركون جيداً أن النتيجة قد تكون بمثابة كارثة أمنية.

كل هذا يُعتبر مبتدلاً في خضم أزمة "كورونا"، حيث تخلق احتمالات الموجة الثانية الكثير من عدم اليقين، مع نسبة بطالة وصلت إلى نحو 20% وانكماش الاقتصاد بأكثر من 7% في الربع الأخير.

ما الذي ستحصل عليه إسرائيل مقابل المخاطرة الكبيرة بمواجهة كوابيس دبلوماسية وأمنية واقتصادية؟ ما هو هذا الذهب الذي ستكسبه؟

لن يُكسب الضم المستوطنين شيئاً ملموساً، لأن إسرائيل تجد طرقاً بالفعل لجعلهم جزءاً من الدولة (على عكس الجيران الفلسطينيين عبر الحقول فهم يدلون بأصواتهم في الانتخابات الإسرائيلية، على الرغم من عدم وجود برنامج اقتراح للغائبين في البلاد). ولكن سيكون من الصعب إلغاء الخطوة، بموجب القانون والسوابق، وكذلك ستسمح بتعزيز قبضة إسرائيل على كامل الأراضي. هل هذا جيد؟

قد تكون الخارطة التي سيرسمها ضم كل المستوطنات، وهو أحد السيناريوهات بحسب تقارير، أكثر المناطق غير القابلة للدفاع والأكثر عبثية في العالم. لا أحد في العالم يعتقد أنه يمكن للجيوب الفلسطينية المتبقية، كل منها محاطة بإسرائيل من جميع الجهات، أن تتحول إلى كيان مشترك منفصل وقابل للبقاء. ادعاء إسرائيل بأنها ديمقراطية، الذي هو أصلاً ركيك وهش بعد 53 عاماً من احتلال الملايين عديمي الجنسية، سيموت وستتبعه العواقب.

تقييمي الخاص هو أن حكومة الوحدة الإسرائيلية غير العالمية بشيء ستستيقظ في اللحظة الأخيرة وتقوم بالتقليل من أهمية الخطوة لإنقاذ ماء الوجه للجميع، وستكتفي بضم متواضع لا يخلق هذه الخارطة التي لا يمكن الدفاع عنها. على سبيل المثال، قد تكون الخطوة مجرد الاستيلاء على كتلة "عتصيون" جنوب القدس. ومن شأنه هذا أيضاً أن ينتهك سياسة حكيمة مستمرة منذ نصف قرن ضد الضم من جانب واحد، ويخلق مشاكل محلية مع بيت لحم، ولكن قد ينتهي به المطاف إلى النظر إليه على أنه مجرد استفزاز يمكن احتواء ضرره.

لماذا يرغب نتنياهو بالتسبب بأي ضرر أصلاً؟ يبدو هذا السؤال مثيراً للاهتمام، ولكن في الواقع هو ليس كذلك.

إن خطة الضم تشكل إلهاء ملائماً عن محاكمته غير المسبوقة بتهمة الرشوة، فهو يشد بذلك قاعدة ناخبي حزب "الليكود"، ويعطيه قضية لإجراج شركائه في حكومة الوحدة من حزب "أزرق أبيض". قد يكون ذلك مناسباً للغاية إذا قرر هندسة انتخابات في الأشهر الـ 17 المتبقية قبل أن يحل وزير الدفاع بني غانتس مكانه. هذا هو نتياهو الذي كانت لديه الجرأة هذا الأسبوع ليدير مكيدة منح نفسه مزايا ضريبية بأثر رجعي لنفسه التي تساوي قيمتها ثروة صغيرة في الوقت الذي ينتظر فيه مواطنوه مبالغ زهيدة من مساعدات وُعدوا بها لمواجهة أزمة "كورونا". بالكاد تبقت هناك أعماق لم يتم اكتشافها، ولا يمكن الرهان في هذا الربع من العام إلا على التواطؤ والكارث. والسؤال المثير للاهتمام هو لماذا سيوافق قاندا "أزرق أبيض"، غانتس ووزير الخارجية، غابي أشكنازي، على ذلك. يُعتبر موقفهما حاسماً، لأنه من الواضح أنه من دون دعم "أزرق أبيض"، قد تقوم إدارة ترامب بسحب التفويض الممنوح لإسرائيل. ليس هناك شك في أن كليهما يدرك حماقة هذه الخطوة، ولكن معارضتهما العلنية للخطوة كانت فاترة في أحسن الأحوال.

هناك ثلاثة سيناريوهات لتفسير ذلك:

- السيناريو الأكثر قسوة هو ضعف الكفاءة. فبعد كل شيء، يدور الحديث عن الرجلين اللذين فازا بالانتخابات، وبطريقة ما فشلا في الإطاحة بنتياهو. هذا الفشل الملحني يشكل سابقة بانسة في تاريخ إسرائيل.

- السيناريو الثاني هو أنهم سيقبلان بأي إهانة أو كارثة لحرمان نتياهو من إيجاد ما يبرر انسحابه من اتفاق التناوب على رئاسة الوزراء. هذا ليس بالسيناريو الأسوأ لأن

المصلحة الذاتية في هذه المنطقة تُقابل بازدراء أقل من الغباء .

- وجهة النظر المتفائلة هي أنهما يتظاهران فقط بأنهم غافلان، وخلف الكواليس يشدون الحبال بذكاء لإحباط المدعى عليه في قضايا جنائية الذي سما له بالبقاء في السلطة. فبعد كل شيء، استطاع "أزرق أبيض" بالفعل إحباط بعض مخططات "الليكود" الأخرى، مثل المكائد لتعطيل محاكمة نتنيا هو. سأخاطر بأن أبدو سانجاً ولن أستبعد هذا السيناريو.